العولمة وآثارها السلبية
في البلاد العربية

الدكتور عبد الحليم بوزيد
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية ـ باتنة

أولا: مفهوم العولمة

تعتبر العولمة من أهم الأفكار التي اهتمت بها الدراسات في هذه الفترة من الزمن؛ وإذا كانت العولمة كغيرها من الأفكار التي سبقتها في العالم؛ مثل " الإمبريالية، والاشتراكية، والشيوعية، والقومية، والفاشية"، التي سادت العالم، فإن العولمة مازال موضوعها لم يوضع في إطار منهجي معين؛ إذ تنقسم الآراء حول مفهومها بين الرفض والقبول، إما نتيجة قناعات سياسية أو عقائدية مسبقة، أو عجز عن فهم محتواها.

وإذا كانت العولمة تبدو عند البعض كما بيننا، جاءت نتيجة لفشل المناهج العلمية في تحقيق التنمية، أو ما يعارض الإنسانية من تحديات في هذا الزمن.

ولعل سبب الخوف منها أكثر من غيرها يعود إلى أنها تعدت الحدود الجغرافية لكل الدوائر السياسية في هذا العالم، محاولة رسم خريطة جديدة، لإدماج البشرية في دائرة واحدة سياسية واقتصادية وثقافية؛ والذي ساعدها على اقتحام العالم هو الثورة التقنية والعلمية التي أنجزت ثورة الاتصالات والمعلومات، محاولة أن تقصي دوائر أخرى مستغلة بذلك الثروات والموارد

البشرية في العالم، وخاصة في العالم الثالث الذي لا يملك القوة في صد هذه الثورة العلمية والتكنولوجية الكبرى، الأمر الذي يؤدي حتما إلى تغير كبير في طبيعة العلاقات بين الدول الكبيرة والصغيرة ...

وقد حاول العلماء [1] وضع صياغة لغوية لها، ذات مضمون ديناميكي؛ جعل منها جملة مستمرة من التغير والتحول بين عولمة الثقافة، أو عولمة الاقتصاد، أو عولمة السياسة، فإن ذلك يعني تحول كل منها من الإطار القومي ليندمج ويتكامل مع الأنظمة الأخرى في إطار عالمي، أو هي التداخل الواضح لأمور اقتصادية واجتماعية، وسياسية، وثقافية، وسلوك، دون اعتداد بالجذور السياسية للدول، ذات سيادة أو انتماء إلى وطن محدد أو إلى دولة معتمدة [2].

وقد تكون العولمة هي محاولة لانهاء وطنية معينة وانتماء ديني ويكون بذلك تابعا للدول الكبرى، وهذا يشكل خطرا كبيرا على الدول ذات السيادة، وخاصة بلادنا العربية، وما تملك من تميز في الوطنية والدين، وهذا ما أدى بكثير من دول العالم إلى مواجهة العولمة وخطرها على البشرية، حيث تحركت كثيرا من التنظيمات السياسية والدينية إلى مواجهة العولمة بكل أبعادها.

ويرى الدكتور مصطفى محمد في مفهوم العولمة على أنها مصطلح بدأ ينتهي لتفريغ المواطن من وطنيته وانتمائه الديني والسياسي [3] .

---

[1] إسماعيل صبري عبد الله وآخرون : العولمة هيمنة منفردة في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية، تقديم : محمد نور ، القاهرة ن دار الجهاد للطباعة والنشر والتوزيع، 1997، ص43.

[2] انظر: المصدر السابق، ص 30 .

[3] أنظر : مصطفى محمود ، مجلة الإسلام وطن، العدد 138، جويلية 1998، ص 12 .

ثانيا: المفهوم التاريخي للعولمة

يرى علماء التاريخ[4] أن العولمة ليست ظاهرة جديدة، وإنما بدأت مع الاستعمار الحديث الذي حاول كلما حل إنهاء دائرة الانتماء لكل أمة أو شعب، وهذا ما فعله الاستعمار في بلادنا وبلاد المسلمين، وقد كانت لظاهرة التكتلات الاستعمارية في جانبها العسكري والاقتصادي أثرها الواضح في تسيير وتوجيه الدول الاستعمارية، وخاصة الغربية والأمريكية والشيوعية، حيث كانت تركز على نظرية التكتلات الاقتصادية والاجتماعية، من الفكر الرأسمالي بالنسبة للغرب، والشيوعي بالنسبة لدول أخرى مثل: روسيا والصين، وغيرهما، وما جاءت العولمة إلا لتؤكد البعد الاستعماري في بلادنا وبلاد المسلمين.

وهي وإن عادت بثوب جديد، عن طريق العلم، ولتدمر كل شيء، كما كانت سياسة الغرب بالأمس القريب على البلاد الإسلامية، ولعل كتاب " فرنسيس فوكاياما " في (نهاية التاريخ) والذي ألفه بعد انهيار الاتحاد السوفياتين واعتبر فيه بداية مرحلة جديدة من مراحل الاستعمار، والتواصل على الاتجاه الغربي الليبرالي، وإعادة بنائه في دول أخرى في المنظور الاقتصادي[5].

ثالثا: المفهوم السياسي

العولمة قد تفسر في الجانب السياسي على أن الدولة : لا تكون الفاعل الوحيد على الساحة الدولية؛ ولكن قد توجد دوائر أخرى، متعددة الاتجاهات،

---

[4]) أنظر: كتاب أخطار الاستعمار في بلاد المسلمين، محمد غان.

[5]) الغرب والقومية والأقلية العالمية، مناظرة نقاش.... متلفزة، 2000.

عالمية أو إقليمية فاعلة، والتي تدعو على ما يربط الدول والشعوب، وخاصة في المجالات الاقتصادية والبشرية والدينية وغيرها.

والعولمة في ظاهرها لا تعني أنها تحمل خيرا أو شرا، وإنما تحتاج من الدول المستقبلة أن تنتبه لهذه الظاهرة وما تحمله من أبعاد أخرى إن لم تحسن الاستقبال وافهم المعلومات الواردة،فكلما أحسنا الاستعمال كانت أحسن.

والعولمة لا تعني إلغاء دور ما أو قرار لسيادة دولة ما، وإنما التقدم التقني والعلمي وثورة المعلومات الهامة، وحرية التجارة وحركة رؤوس الأموال أدت إلى تكتلات اقتصادية تقصي فرصا، وتنذر بتحديات لدول العالم الثالث وخاصة بلادنا العربية.

إذا كان النظام الاقتصادي ليس وحيد القطب بل هناك أنظمة أخرى اقتصادية، مثل الصين، فكذلك النظام السياسي ليس وحيد القطب تتبعه الولايات المتحدة الأمريكية، فقد ظهرت تكتلات أخرى مثل المنظمة العالمية للتجارة في سياتل، الاتحاد الأوربي واليابان، ودول نامية أخرى لها من الأهمية في هذا الاتجاه.

ويؤكد د. محمد عبد الجابر على ذلك بقوله: << العولمة نظام يقفز على الدول والأمة والوطن، وبالتالي فإنه يعمل على التفتيت والتشتيت وإيقاظ أطر الانتماء إلى القبيلة والطائفة والجهة والتعصب بعد أن تضعف إرادة الدولة وهوية الوطن >> [6].

[6]) انظر : محمد عبد الحافظ عبد الله وآخرون، العولمة هيمنة منفردة في المجالات الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، ص 30 .

وكما هو واضح من سرد الآراء، فإن العولمة من المنظور السياسي : هي نقل لسلطة الدولة واختصاصاتها إلى مؤسسات عالمية تتولى تسيير العالم وتوجيهه، وهي بذلك تحل الدولة وتهيمن عليها، وفق سيادتها .

وقد يرى فريق آخر ضرورة فك الاشتباك بين العولمة والهيمنة، إذ يرون أن "العولمة عملية تطور تاريخي موضوعي لا نملك إلا الاستجابة إليها، بينما الهيمنة وهي إيديولوجية العولمة"[7] . وهو ما يجب الوقوف في وجهه، لأن الهيمنة انتعاش لموازين القوى السياسية والاقتصادية في ا لعالم الصالح، قطب واحد يريد أن يفرض سياسات يسير الكل عليها وهي محاولة إعادة النظام القديم، وما حال الشرق الأوسط الآن إلا خير دليل.

رابعا: المفهوم الاقتصادي للعولمة:

قد يرتبط المفهوم الاقتصادي بتحويل العالم إلى منظومة من العلاقات الاقتصادية المتشابكة التي تزداد تشابكا وتعقدا لتحقيق نظام اقتصادي واحد، فيه يتبادل العالم الاعتماد بعضه على بعض في كل الحاجات والسلع والمنتجات والأسواق ورؤوس الأموال، ويضيف الاقتصاديون أنه منذ بدء تطور وتضخم الشركات المتعددة الجنسيات فقد تطورت العولمة اقتصاديا ومعلوماتيا، وأثر تعمق هذا التطور يظهر في الإسراع بتضخم هذه الشركات بدء من زيادة قدرتها على الاستفادة من نزول الأسعار أو نسبة الضرائب أو مستوى الأجور وانتهاء بتركيز الإنتاج في المكان الأرخص ونقله إلى الاستهلاك في المكان الأعلى على مستوى الكرة الأرضية.

---

[7]) نفس المرجع السابق ، ص 91.

إن العولمة هي صياغة الأسواق التي تضمن عالمية التصدير والاستيراد[8].

وقد تزايدت المخاوف من العولمة التي تؤدي إلى الإنقاص من السيادة الوطنية وتقليص دور الدولة في السيادة على الاقتصاد وتأثير ذلك على الإنفاق العام وخصوصا الجانب الاجتماعي.

خامسا: المفهوم الثقافي للعولمة:

ارتباط مفهوم العولمة للثقافة بفكرة التنميط أو التوحيد الثقافي للعالم على حسب المفهوم الذي استعملته منظمة اليونيسكو العالمية والتي رأت أن التنميط الثقافي يتم باستغلال ثروة وشبكة الاتصالات العالمية، وهيكلها الاقتصادي الإنتاجي، والمتمثل في شبكات نقل المعلومات والسلع وتحريك رؤوس الأموال كما أن التنميط أو التوحيد الثقافي هو مرآة التطور الاقتصادي للعولمة، فمن البديهي أن يتكامل البنيان الثقافي للإنسانية مع البناء الاقتصادي والمعلوماتي، ومن هذا اتخذ المفهوم الثقافي للعولمة بعدا اقتصاديا وإعلاميا، حيث الإعلام هو أداة التوصيل والتأثير بالأفكار الثقافية التي يراد لها الذيوع والانتشار[9].

هناك من يعرف الثقافة العولمة على أنها طغيان ثقافة معينة على الثقافة القومية والمحلية، وهو يشكل خطرا على خصوصياتها والذي ينهي وجودها ومن هنا قامت الدعوة في محاربة العولمة وقامت في ذلك ندوات ومظاهرات وملتقيات، كلها من أجل محاربة هذا المفهوم الذي تراه خطيرا عليها.

---

[8]) أنظر: مصطفى محمد، مجلة الإسلام الوطن، العدد 118، جويلية 1998، ص 13.

[9]) المرسي: العلمانية والعولمة والأزهر، ص 92.

والعولمة في المجال الثقافي كغيرها من المجالات هدفها تحقيق ما يمكن تحقيقه من بناء مشروع ثقافي موحد يلغي ثقافات وحضارات وحتى معتقدات في مشروع واحد، وذلك عن طريق التعارف والحوار والتلاقح.

وربما هي تحقيق ــ عن طريق الأقوى ــ ما يمكن القضاء عليه من إخضاع الهوية وفساد النفوس وتعطيل العقل وإفساد القيم، وتوجيه الخيال حسب ما تراه القوة الفاعلة والمسيرة، ومن ذلك إبعاد المنطق الحضاري للشعوب وإدماج الهوية .

الآثار السلبية للعولمة على العالم العربي

إن العالم العربي هو جزء من العالم الإنساني البشري، وإذا كان العالم العربي يتميز عن غيره بجملة من المميزات الحضارية والتاريخية والثقافية والدينية، الأمر الذي جعله مستهدفا أكثر من غيره، كما أن الأنظمة في العالم العربي أنشأت هوة بين الحكام والشعوب، عن طريق قمعها وكبت حريتها، لذا تجد كثيرا من ا لشعوب العربية نفسها مضطرة، أسيرة لهذه الظاهرة مما ينعكس سلبا على البلاد العربية، وكما توجهت كثيرا من الأنظمة في البلاد العربية إلى حماية نفسها عن طريق قوى خارجية إما لقمع شعوبها أو خوفا من جارتها، وهو نوع أيضا من العجز الذي تواجهه أنظمة معينة في هذه البلاد، وعامل آخر سيساعد على عدم القدرة على مواجهة العولمة هو ما أحدثه الاستعمار من تقسيم في بلاد العرب والمسلمين، من فرض سلبيات سلوكية ولوية استعمارية مكنته من البقاء في البلاد العربية، كما أن العدو الإسرائيلي استطاع أن يقسم البلاد العربية والإسلامية بين مؤيد ورافض لسياسته، ساعدت أيضا على اتساع الهوة بين الشعوب والحكام.

الأبعاد السياسية والثقافية:

أولا : على المستوى الداخلي

العولمة تسعى إلى تهديد الاستقرار وإلغاء دوائره اللغوية والثقافية والدينية وجعل دوائها تنتمي داخل الانتماء الإقليمين وهذا ما تقوم عليه العولمة بأنها علاقة بين مستويات متعددة للتحليل الاقتصادي والسياسي الثقافي والإيديولوجي، وتشمل تنظيم الإنتاج وتداخل الصناعات عبر الحدود وانتشار أسواق التمويل، وتماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول نتيجة الصراع بين مجموعات المهاجرة أو القمة[10].

وإذا كانت العولمة في هذه المرحلة هي محاولة الانتشار لوصولها إلى بقية العالم لقبول فكرتها واحتضان مشروعها، فغن هدفها الأخير هو إقصاء الطرف الآخر أي المستهلك، وهو المستقبل الذي لا يملك المقاومة .

ثانيا إقصاء الدور الذي تقوم به الدول المعولمة:

فإذا كانت العولمة هي احتواء للعالم وجعله ممثل للمشروع العولمي الذي ينمي مجموعة من العمليات المكونة لأي جهة مثل الدول العربية؛ فهي تكسير لوحدة الحدود الجغرافية والثقافية والاقتصادية بحيث تكون الدول عبارة عن مجموعات متشابهة متقاربة.

إذن فالمحاولة هي تخطي الحواجز الطبيعية القائمة من جهة، وهي محاولة أخرى كما جعلها الاستعمار الذي يسعى إلى إلغاء الوحدات الوطنية الاجتماعية داخل الوطن العربي من لغة، ودين ، وثقافة، وربطها بمصالحة

الاستعمارية، لكن المحاولة اليوم أخطر من الماضي، فهي تأتينا عن طريق العلم الذي يدمر كل شيء، وهي كما يصفها أحدهم : ((القوة المخيفة الكبرى)) .

وربما الخريطة الجديدة التي بدأت تتشكل في العالم خير دليل، فقد بدأت ظواهرها تتجلى في إفريقيا " القرن الإفريقي" ثم البحيرات الكبرى، وفي بلادنا الجزائر، وما تعانيه دول عربية مثل ليبيا، العراق، ودول أخرى في البلقان وغيرها، وكل ذلك معالم ارتسام خريطة جديدة نحو تشكيل تنظيم أرضي جديد تحت اسم النظام الاقتصادي الدولي الجديد.

محاولة السيطرة على النفسية الإنسانية العربية

ويتم ذلك بإذلالها وتعطيل نشاط العقل والدعوة إلى إفساد القيم الأخلاقية التي تحكم البلاد العربية وذلك بنشر البدائل الجاهزة بالأخلاق المنحطة، والثقافة المائعة المشكلة من الإعلام الفاسد الهادف إلى إفساد السمع والبعد عن الحق، والدعوة إلى الثورة في النسف للإباحية والمحرمات، وهذا من أجل إخضاع العباد والبلاد إلى مبدأ الأقوى.

محاولة التشويش على الثقافة العربية والتقليل من شأنها وبعث النعرات الانفصالية وتمجيد رجالها.

تهيئة بعض المسلمين لتكفل قيام حضارة لهم غير مهتدية بهدي الإسلام، كما نشأت في تلك الحضارة القديمة.

---

[10]) أنظر: جيمس روزناو ك ديناميكية العولمة نحو صياغة عملية قرارات استراتيجية ــ القاهرة ــ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، 1998.

وأشار المفكر الفرنسي " جاك ادستري" أن هناك بعض الشبه بين الإسلام والشيوعية من حيث عالميتها وتساميها عن القوميات والعنصريات، وقد شبه النظام في الدولة الإسلامية بنظام الدولة في النظام الشيوعي.

وقد أشار " توفيق الحكيم" في مقالاته في جريدة الأهرام 21 أفريل 1981 أن الشيوعية تسير على مبدأ الإسلام في قوله تعالى << ... في أموالهم حق للسائل والمحروم ...>> وأراد بزعمه أن يثبت أن المادة قد طغت على الإسلام عند تطبيقه لنظمه، ليجعل الإسلام لا يختلف عن الشيوعية من ناحية طغيان المادة، وهي وسيلة للدعوة لتطبيق الاشتراكية والأخذ بالشيوعية، بل لقد قال في كتابه " شجرة الحكم السياسي" ص 507 : أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– كان يساريا، هو وسائر الأنبياء، وهذا ما يسمى الآن بالإسلام اليساري عند البعض، كما شجع الاستشراق على نشر الليبرالية الغربية إذا اراد العرب التقدم.

ولقد تأثر الكثير من المثقفين إلى الأخذ من هذه الحضارة، واتهم الإسلام بقضايا خطيرة، ومن هؤلاء طه حسين الذي توجه لنقد القرآن بوصفه كتابا أدبيا، مما أثار حوله الشبهات، والعولمة الثقافية تؤدي إلى ازدواجية الهوية؛ الأولى أو التقليدية للشخص، والهوية الناجمة عن ثقافته العالمية الجديدة وبالتالي نلاحظ ازدواجية في الثقافة، الشيء الذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى تشوه ثقافي وبالتالي فقدان الهوية وضياعها والدخول في ظاهرة التشرذم أو التمزق أو التشوه الثقافي، وهو ما تعاني منه المجتمعات اليوم وتعدد مظاهره بصورة يصعب حصرها.

أنجز طبعه بمطبعة عمار قرفي - باتنة